نظرات في مقال

محاولات اغتيال السلطان صلاح الدين من قبل جماعة الحشاشين

للدكتور رامي إبراهيم محمود

إعداد

معتز عبد الرحمن

مقدم إلى

الأستاذ الدكتور: ماهر أبو منشار

أولا: المحور المركزي للمقال

تلقي المقالة الضوء على طبيعة الصراع المبني على الخلاف المذهبي والعقدي، وتنوع الأدوات التي قد يلجأ إليها كل طرف للتمكين لطائفته في الأرض وتوسيع دائرة نفوذها، ويعد الكلام عن (طائفة الحشاشين) مجرد نموذج ومثال يمكن قياس العديد من النماذج والأمثلة التاريخية عليه، كما أن (السلطان صلاح الدين الأيوبي) أيضا نموذج من النماذج التي تعرضت لمكر فئة معادية عقديا، لم يكن الوحيد الذي تعرض لشرور تلك الفئة تحديدا، كما أنه بالتأكيد ليس الوحيد الذي يتعرض لهذا النوع من العداء والمكر في التاريخ ولا في الحاضر ولا المستقبل.

فمحاولات اغتيال (صلاح الدين) على يد (الحشاشين) هو مجرد ثمرة في شجرة جذورها أبعد كثيرا من أن تحصر في شخص (صلاح الدين) أو شخص المسئول عن (الحشاشين) في ذلك الوقت، ولم يكن الدافع المذهبي محركا (للحشاشين) فقط، بل كان في الأصل محركا (لصلاح الدين) نفسه وللزنكيين عندما سعوا لإسقاط الدولة الفاطمية في مصر، فالدافع المذهبي ليس خطأ في ذاته، ولكن الذي يفرق فئة عن أخرى هو مدى صحة وسلامة المذهب بناء على أصوله الشرعية، بجانب مدى نزاهة الأدوات التي يستخدمها كل منهم.

ثانيا: خريطة المقال

يمكن فهم العداء العام بين (الحشاشين) و(صلاح الدين) بسهولة لوجود الخلاف المذهبي الواسع بينهما، ولكن لإلقاء ضوء على أسباب العداء الخاص بينهما ذهب الكاتب إلى إيضاح علاقة (الحشاشين) بالدولة الفاطمية التي أسقطها (صلاح الدين) حديثا، وهو ما تطلب رحلة قصيرة في تاريخ المذهب الإسماعيلي منذ النشأة والانقسام ثم السقوط في مصر تحديدا، وكانت المرحلة الأهم في هذه الرحلة هي وفاة الخليفة الفاطمي (المستنصر بالله) وانقسام الأمر بين ولديه، الأكبر (نزار) وهو الأحق بولاية العهد والحكم حسب العرف الإسماعيلي، والأصغر (أحمد المستعلي) الذي مال له (الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي) وأجلسه على العرش وانتزع له البيعة، والتي رفضها (نزار) وهرب إلى (الإسكندرية)، وانقسم الإسماعيلية بينهما، ومن رحم (الإسماعيلية النزارية) ولدت طائفة الحشاشين على يد (حسن الصباح)، مما يبين عمق العلاقة بين (الحشاشين) و(الدولة الفاطمية) التي سيسقطها (صلاح الدين) لاحقا، وبالتالي تبرهن على عمق العداء بينهما.

ثم مرالكاتب بمراحل النشأة الفعلية (للحشاشين) وأدواتها، والتي سأفرد لها عنوانا خاصا لاحقا في هذا الملخص، وفي المقابل سرد الكاتب شيئا من تاريخ (صلاح الدين) ونشأته ونشأة سلطانه كما فعل مع (الحشاشين) ليمهد أيضا الطريق إلى نقطة الصدام بينهما.

ثم سرد نقاط الصدام المتمثلة في محاولات اغتيال (صلاح الدين) من قبل (الحشاشين) ثم محاولة حصار (الحشاشين) من قبل (صلاح الدين)، وخلفيات كل واقعة منهم، ثم الخاتمة.

ثالثا: أدوات (الحشاشين)

بحسب المقال يمكن تلخيص أهم أدوات (الحشاشين) في تكوين دويلتهم ومواجهة أعدائهم فيما يلي:

1- اختيار موقع استراتيجي للانطلاق (قلعة الموت).

2- سرية الدعوة أثناء قيام الطائفة، ثم سرية المعرفة بعد قيامها لإبقاء الأعداء في عجز عن معرفة مفاتيح الطائفة العقدية والنظامية.

3- إظهار الزهد والتواضع والتقرب من أولي الأمر بذلك إلى حين التمكن من عزلهم.

4- تكوين جيش نظامي.

5- تكوين فرقة الاغتيالات التي تسهل مهام الجيش النظامي بالطعن في الظهر.

6- استثمار الخلافات الداخلية عند الخصم وتلبية نداء بعضهم ضد بعض ولو كانوا جميعا على مذهب معاد.

7- غرس الروح الانتحارية في أفراد الطائفة.

رابعا: التعامل مع (الحشاشين)

يتضح من الأدوات التي لجأ إليها (الحشاشون) مدى صعوبة التعامل مع فئة كتلك، فالهجوم النظامي عليهم تفشله الاغتيالات، والتعامل المعرفي تفشله السرية والتقية، والترهيب تقلل الروح الانتحارية من آثاره، بل وحتى التجنب والتجاهل لا يمنعهم من التدخل لحساب الخصوم المتنوعين، وقد ذكر الكاتب أن الحكام المختلفين حاروا في أمرهم، فمن عاداهم لم يسلم من باطن مكرهم، ومن وادعهم شانه سوء معتقدهم ومذهبهم.

وبالنظر إلى نموذج (صلاح الدين) نرى حسب المقال أنه لجأ لأسلوبين، الأول التأمين الداخلي لعرقلة محاولات الاغتيال، فبعد تكرار المحاولة علم أنه ينبغي أن يهتم بالمحافظة على حياته أكثر، والثاني هو المواجهة المباشرة بالتوجه إلى (مصياف) ومحاصرتها في محرم 572، وإن كان الحصار لم يستمر لتدخل الوسطاء ولاحتياج (صلاح الدين) إلى العودة لمواجهة توسعات الصليبيين، إلا أنه بالنظر إلى توقف محاولات الاغتيال منذ ذلك التاريخ حتى وفاة (صلاح الدين) رحمه الله عام 589 هـ نرى أن مساعي (صلاح الدين) لعرقلتهم قد نجحت، ويضاف إلى هذا من سياق الأحداث وسيلة لم يقصدها (صلاح الدين) وهي أن في كل المحاولات تقريبا وقف المحيطون بـ(صلاح الدين) أمراء وجنودا كدرع له واستشهد بعضهم دونه، مما يدل على أن الثقة الكبيرة التي بناها (صلاح الدين) مع رجاله، وثقتهم في سلامة الطريق الذي يسيرون فيه معه قد جعلهم على استعداد لوضع صدورهم في مواجهة الروح الانتحارية (للحشاشين) دون تردد.

خامسا: محاولات الاغتيال

الأولى: في قصر الخلافة الفاطمي في مصر، على يد (مؤتمن الخلافة) وهو عبد من الزنوج السودان، وكان الخلاف المذهبي مع (صلاح الدين) دافعه لطلب العون من (الصليبيين) و(الحشاشين) على سواء بجانب دخوله في قتال مباشر مع (صلاح الدين)، كان النصر فيه للسلطان الذي لم تستقر الأمور له بعد.

الثانية: حلب، جمادى الثاني 571هـ، أثناء حصار (صلاح الدين) لـ(حلب) والتي كانت تحت حكم (الملك الصالح) ابن (نور الدين زنكي) صاحب الاثنا عشر عاما، ونقل المؤرخون أن المحاولة كانت بطلب من (الملك الصالح) للحشاشين، وأفشلتها يقظة (خمارتكين) أمير (أبي قبيس) والذي تعرف عليهم قبل وصولهم لمبتغاهم، ودار قتال قتل فيه (خمارتكين) وعدد من الجنود قبل أن يقضوا على الفئة المتسللة بالكامل.

الثالثة: أعزاز، ذو القعدة 571 هـ، أثناء حصار (صلاح الدين) لـ (أعزاز)، تنكر المتسللون في زي جنود (صلاح الدين) ووصلوا إلى خيمته، وطعنه أحدهم بالفعل إلا أن خوذة (صلاح الدين) حولت الطعنة المميتة إلى جرح، وقاتل جنود (صلاح الدين) بشدة حتى قضوا على المتسللين مرة أخرى، وتشير أصابع المؤرخين أيضا إلى حكام (حلب) كمحرضين على تلك الواقعة.

سادسا: الخاتمة

ختم الكاتب المقال بالإشارة إلى أهمية دراسة التاريخ دراسة واعية بعيدة عن التقديس والشيطنة، والنظر دائما إلى خلفيات ومسببات الصراعات وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحية لظاهر الأحداث، فهذه هي الوسيلة الفعالة للاستفادة من دراسة التاريخ وفهم علاقته بالواقع، وتطبيق دروس التاريخ في التعامل مع الحاضر.